جيشُك ليس كهزيمتك، وإنك إن تُقْتَلْ أو تُهزَمْ في أنف الأمر[١]، خشيتُ أن لا يكبّر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً، وهو في ارتيادِ[٢] مِنْ رجل؛ وأتى كتاب سعد على حَفَف مشورتهم وهو[٣] على بعض صدقات نجد. فقال عمر: فأشيروا عليّ برجل. فقال عبد الرحمن: وَجَدْتُهُ. قال: من هُوَ؟ قال: الأسدُ في برائنه[٤]؛ سَعْدُ بن مالِكٍ[٥]، ومالأه[٦] أولو الرأي. انتهى.

ترغيب عثمان بن عفان رضي الله عنه على الجهاد

أخرج الإمام أحمد (١/ ٦٥) عن أبي صالح مولى عثمانَ بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنّي كَتَمْتُكُمْ حديثاً سمعتُهُ من رسول الله ﷺ كراهةَ تَفَرُّقِكُمْ عنّي، ثم بدا لي أن أحدِّثَكُمُوهُ ليختارَ امرؤ لنفسه ما بدا له: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «رِباطُ يَوْمٍ في سَبيلِ الله تعالى خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فيما سِواهُ من المنازل».

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (١/ ٦١) عن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ وهو يخطب على منبره ـ: إنّي محدِّثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، ما كان يمنعني أن أحدثكم إلا الضنّ عليكم[٧]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حَرَسُ لَيْلَةٍ في سبيلِ الله تعالى أفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يقامُ لَيلُها وَيُصَامُ نَهارُها».

ترغيب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على الجهاد

أخرج الطبراني (٤/ ٩) عن زيد بن وَهْب: أنّ علياً رضي الله عنه قام في الناس فقال: الحمدُ لله الذي لا يُبْرَمُ ما نَقَضَ، وما أبرَم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جَحَد المفضول ذا الفضل فضله. وقد ساقتنا وهؤلاء القومَ الأقدار فلفّت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربّنا بمرأى ومسمع، فلو

(١) أنف الأمر: أوله.
(٢) ارتياد: طلب.
(٣) هو: أي سعد.
(٤) برائنه: أي مخالبه.
(٥) سعد بن مالك أي سعد بن أبي وقّاص.
(٦) مالأه: وافقه.
(٧) الضنّ عليكم: الضنّ البخل والمعنى هنا هو تمسّكه بالصحابة لأن يبقوا معه في المدينة.

شاءَ عَجَّلَ النِقْمة وكان منه التغيير حتى يكذِّب الله الظالمَ، ويعلم الحق أين مصيره؛ ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[١]، ألا إنكم لاقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسَلُوا الله عَزَّ وَجَلَّ النصرَ والصَّبْرَ، والْقَوْهُمْ بالجدّ والحزم وكونوا صادقين. ثم انصرف انتهى.

تحريض علي رضي الله عنه يوم صفِّين

وأخرج أيضاً (٤/ ١١) عن أبي عمرة الأنصاري وغيره: أن علياً رضي الله عنه حَرَّضَ الناس يوم صِفِّين[٢] فقال: إنّ الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تُشفِي[٣] بكم على الخير، الإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ، والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن، ثم أخبركم أنه يحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيانٌ مرصوص، فسوّوا صُفُوفَكُمْ كالبنيان المرصوص، وقَدِّمُوا الدارع[٤] وأخِّرُوا الحاسِر[٥] وعَضُّوا على الأضراس، فذكر الخطبة بطولها.

تحريض علي رضي الله عنه على قتال الخوارج

وأخرج أيضاً (٤/ ٥٧) عن أبي الوداك الهمداني: أنّ علياً رضي الله عنه لما نزل بالنُّخَيْلَةِ[٦] وأيِسَ من الخوارج قام فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ، فإنهُ مَنْ ترك الجهادَ في الله وأدْهَنَ في أمره كان على شفا[٧] هلكه إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله، وقاتلوا من حادّ الله وحاول أن يطفىء نور الله الخاطئين الضالّين القاسطين[٨] المجرمين الذين ليسوا بقرّاء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، والله لو ولُّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل، تَيَسَّرُوا وتهيأوا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا

---

(١) [٥٣ سورة النجم/ ٣١].
(٢) وقعة «صفين» مشهورة وكانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.
(٣) تُشفي: تفريكم.
(٤) الدارع: من عليه الدرع.
(٥) الحاسر: من كان بلا درع أو بلا عمامة.
(٦) النخيلة: موضع قرب الكوفة.
(٧) الشفا: الطرف.
(٨) القاسطين: الظالمين.

عليكم؛ فإذا قدموا فاجتمعتم شَخَصْنا[١] إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ انتهى.

خطبة علي على تثاقلهم في النَّفْر

وأخرج أيضاً (٤/٦٧) من طريق أبي مخنف عن زيد بن وهب أن علياً رضي الله عنه قال للناس ـ وهو أول كلام قال لهم بعد النهر ـ: أيُها الناس استعدّوا للمسير إلى عدوّ في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى[٢] في الحق، جُفاة[٣] عن الكتاب، نُكُبٌ[٤] عن الدين، يَعْمَهُونَ[٥] في الطغيان ويُعكَسونَ[٦] في غَمْرَةِ الضلال. فأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل. وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً. وكفى بالله نصيراً.

قال: فلا هُمْ نَفَروا ولا تَيسَّرُوا فتركهم أياماً حتى إذا أيِسَ من أن يفعلوا. دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي ينظرهم[٧] فمنهم المعتل ومنهم المكره، وأقلهم من نشط فقام فيهم خطيباً فقال:

عبادَ الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثّاقلتم إلى الأرض؟! أَرَضِيتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة؟ وبالذلّ والهوان من العزّ، أوَكُلّما نَدَبْتُكُمْ[٨] إلى الجهادِ دارَتْ أعْيُنُكُمْ كأنكُمْ من الموت في سكرة، وكأن قلوبكم مألوسة[٩]، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه[١٠] فأنتم لا تبصرون، لله أنتم ما أنتم إلا أسود الشرى[١١] في الدعة[١٢] وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سَجِيسَ الليالي[١٣]، ما أنتم بِرَكْبٍ يصال بكم ولا ذِي عِزٍّ يُعْتَصَمُ إليه، لَعَمْرُ اللهِ، لَبِئْسَ حَشاشُ[١٤] الحرب أنتم، إنكم تكادون ولا تكيدون،

---

(١) شخصنا: خرجنا.
(٢) حيارى: جمع حيران.
(٣) جفاة: جمع جاف أي الغليظ الخلقة والطبع.
(٤) نكب: جمع ناكب، أي المنحرفين عن الدين.
(٥) يعمهون: يتحيرون.
(٦) يعكسون: يمشون في العكس.
(٧) ينظرهم: يؤخرهم «مختار».
(٨) ندبتكم: دعوتكم.
(٩) المألوس: هو الذي اختلط عقله.
(١٠) كمه: جمع أكمه وهو الذي اعترته ظلمة تطمس على بصره.
(١١) الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.
(١٢) الدّعة: الراحة.
(١٣) يقال لا آتيك سجيس الليالي، أي أبداً.
(١٤) في الأصل «حشاش» وهو لا يناسب المقام لأنّ الحشاش هو الذي يطلب الحشيش وأنا الخشاش فهي ضعاف الطير.

وينتقص أطرافكم ولا تنحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إنَّ أخا الحرب اليقظانُ ذو عقل، وبات لذل من وادع[١] وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب.

ثم قال: أما بعدُ، فإنّ لي عليكم حقاً، وإن لكم عليّ حقاً، فأمّا حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم، فإنْ يُرِدِ اللّهُ بكم خيراً انتزعوا عما أكره وتراجعوا إلى ما أُحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون ـ انتهى.

نداء حَوْشَب الحميري علياً يوم صفّين وجواب علي له

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٣١٥) عن عبد الواحد الدمشقي قال: نادى حوشب الحميري علياً رضي الله عنه يوم صفين فقال: انصرف عنا يا ابن أبي طالب، فإنّا نَنشُدُكَ اللّهَ في دمائنا ودمك، ونُخَلّي بينك وبين عِراقِكَ، وَتُخَلّي بيننا وبين شامنا؛ وتحقن دماء المسلمين. قال عليّ رضي الله عنه: هيهات يا ابن أمّ ظليم، واللّهِ لو علمت أن المداهنة[٢] تسعني في دين الله لفعلتُ، وكان أهون عليّ في المؤونة[٣]، ولكنْ الله لم يَرْضَ من أهل القرآن بالسكوت والإدْهانِ، إذا كان الله يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله ـ انتهى. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٥) مثله.

ترغيب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الجهاد

خطبة سعد يوم القادسية

أخرج ابن جرير الطبري (٤/ ٤٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا: خطبَ سعد ـ أي يوم القادسية ـ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الله هو الحقُّ لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٤] إنّ هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم

(١) وادع: سالم وصالح وتارك العداوة.

(٢) المداهنة: هي المصانعة والمواربة والغش وعادة هو ترك الحق لمصلحة الأعداء أو الأصحاب.

(٣) المؤونة: الشدة والتعب.

(٤) [٣٣/ سورة الأنبياء/ ١٠٥].